

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

عرض: ابورفا شاه

مركز اميريكان انتربرايز

1 أبريل 2010

Revel's Uncommon Insight

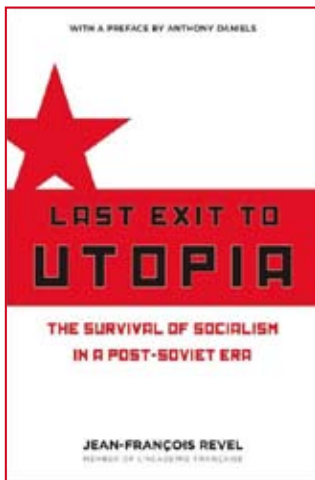
By Apoorva Shah

American Enterprise Institute (AEI)

ترجمة: علي الحارس

• مساعد باحث في مركز اميريكان انتربرايز (AEI).

ابورفا شاه



غلاف الكتاب

الكتاب: المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا... بقاء الاشتراكية في حقبة ما بعد الاتحاد السوفيتي.

الكاتب: جان فرانسوا ريفيل.

عدد الصفحات: 300.

الناشر: انكاونتر بوكس.

تاريخ النشر: ديسمبر 2009.

نبذة عن الكاتب:



جان فرانسوا ريفيل

- فيلسوف وسياسي وصحفي فرنسي (1924-2006).
- كان يساريا حتى نهاية ستينيات القرن العشرين، ثم اعتنق الليبرالية والديمقراطية في عصر انتعشت فيه الأفكار الشيوعية والماوية في أوروبا.
- من كتبه: بدون ماركس أو المسيح، إغراء الشمولية، كيف تهلك الأنظمة الديمقراطية، التحليق بعيدا عن الحقيقة، معاداة أمريكا.
- عضو الأكاديمية الفرنسية (1998).

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

على امتداد عمره الطويل لم يبتعد المنظر والمحلل السياسي جان فرانسوا ريفيل عن ميدان الجدل إلا نادرا. وكانت آراؤه الجدلية تتناول العديد من الأمور: كجمال الإيطاليات (بمبالغة)، وأمجاد فرنسا (بمبالغة شديدة)، وحتى رسالته وفلسفته الخاصة به (كان يرى بأنها لم تعد مهمة): لكن أكثر ما امتاز به ريفيل هو عداؤه الشديد للشيوعية فكان يكره الأنظمة الشيوعية ويندد بما حققته من أرقام قياسية في الجريمة والفقر. وبينما كان زملاؤه المقربون من الماركسيين المتشددين والمتحمسين في انتقاد أمريكا، وجد ريفيل، وهو الذي كان من المجاهرين بيساريتهم، متعة في الدفاع عن مبادئ السوق الحرة، والديمقراطية الليبرالية، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي كتاباته، بدءا من (بدون ماركس أو المسيح) وانتهاء بكتابه الأخير (معادة أمريكا)، دافع ريفيل عن موقع أمريكا كقوة عظمى وهاجم زملاءه المنتقدين لأمريكا، والذين كان الكثير منهم يخلق في منزله الفرنسي الفخم انتقادات فورية لكل ما تفعله أمريكا في الداخل والخارج.

في الواقع، ومن بين الكثير من المفكرين الفرنسيين الذين زعموا أنهم يفهمون أمريكا، كان ريفيل واحدا من قلة أمضوا وقتا فيها، ففي الفترة (1970-1990) قام ريفيل بزيارات عديدة إلى أمريكا، وجال في البلاد متحدثا إلى «السياسيين، والصحافيين، ورجال الأعمال، وطلاب الجامعات وأساتذتها، والديمقراطيين والجمهوريين، والمحافظين، والليبراليين والمتشددين، وكل من التقاه في كافة مجالات الحياة»: وقد قدم هذا (المنهج التوكفيلي)¹ للقارئ الأمريكي وجهة نظر فريدة عن أمريكا في خضم الحرب الباردة، وأكد له أن الاتجاه المعادي لأمريكا في أوروبا إنما كان يشعر بالقلق لما يراه من تدهور موقع أوروبا كقوة عظمى.

1 إشارة إلى اليكسي دوتوكفيل (Alexis de Tocqueville): كاتب وسياسي فرنسي (1805-1859). قام برحلة إلى أمريكا عام 1831 وعاد إلى فرنسا ليؤلف كتابه الشهير (الديمقراطية في أمريكا) الذي تناول فيه نقاط القوة والضعف في النظام الحكومي الأمريكي في تلك الفترة.

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

مع ذلك، أعرب ريفيل عن قلقه من أن رضى أمريكا بما حققته ضد الشيوعية بعد أحداث معينة (كحرب فيتنام) قد يؤدي إلى نهاية الديمقراطية الغربية. حيث جاء في كتابه الذي ألفه عام 1984 (كيف تهلك الأنظمة الديمقراطية):

بعد النقد الذاتي، طبعاً، من المنابع الحيوية للحضارة الديمقراطية. أما إدانة الذات، والتي تكون دائماً واهية الدليل أو من دون دليل على الإطلاق، فهي مصدر للضعف والشعور بالدونية في التعامل مع قوة أعفت نفسها من مثل هذه الالتزامات. إن المبالغة في نقد الذات هي رفاهية غير مؤذية للحضارة عندما لا يكون هنالك على الأبواب عدو يدين وجود الديمقراطية في الأساس.

بينما تبين خطأ نبوءة ريفيل بنهاية الديمقراطية، استمر في القول بأن سقوط الشيوعية لم يكن نتيجة لجهود الغرب بقدر ما كان نهاية جلبتها الطبيعة العاجزة والمجرمة للشيوعية نفسها. وفي كتابه (المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا)، والذي نُشر قبل سبعة أعوام من وفاته عام 2006 وتمت ترجمته إلى الانجليزية مؤخراً، يعيد ريفيل توجيه الاتهامات إلى اليسار الشيوعي الذي لملم شمله في قلعة الأحلام الطوباوية بعد خسارته المسؤولية الحكومية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وجعل منها قلعة يوجه منها النقد لأهداف سهلة كالرأسمالية والعولمة والديمقراطية. بينما كان يتفادى النقد والمسؤولية عن سجله الخاص تحت ذريعة «النوايا الحسنة».

يدعو ريفيل هذه المناورة (La Grande Parade)، وهو العنوان الأصلي للكتاب الذي ترجم إلى الانجليزية تحت عنوان (المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا)، وهو يشرح معنى العنوان في الفصل الأول فيقول أن كلمة (Parade) الفرنسية لا يقصد بها معنى مثلتها في الانجليزية فحسب (أي: المواكب العامة أو التجمعات الاستعراضية للفت الانتباه)، وإنما يقصد أيضاً معنى (المبارزة) حيث يقوم المبارز بصد الهجوم بحركة دائرية من سيفه. إن ريفيل يلاحظ أن أداء اليساريين بعد انهيار الاتحاد السوفيتي «كان لخدمة هدف مزدوج،

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

يمكنهم من جهة من تفادي سيف التاريخ الذي كان يهدد بنهاية عقيدتهم وتخلصنا منها؛ وأن يبقوا. من جهة أخرى، لاعبين مؤثرين في المشهد الثقافي والسياسي لمتابعوا السير في مقدمة الموكب». ولكنه يذهب أبعد من ذلك فيقول أن كلمة (Parade) هي بالإضافة إلى المعنيين السابقين مصطلح ملاحى يشير إلى تغيير مسار السفينة دون توضيح الرؤية. كما إنها مصطلح يستخدمه الطهاة للإشارة إلى تزيين اللحم أو السمك قبل طهوه. أي: «إزالة الأجزاء التي لا فائدة منها بينما يتم الإبقاء على أكثر ما يمكن من الأجزاء الأصلية». ويطرح ريفيل في النهاية السؤال التالي: «هل ما يقوم به اليسار هو مجرد تقديم الطبخة الايديولوجية القديمة باسم جديد؟».

يمكن القول أن ريفيل عاش ومات محاربا أصيلا في الحرب الباردة. كما كان مفكرا مهيجا وحكيما بليغا، فدعا زملاءه إلى أن لا يخفوا في ملاحظة الشبه بين شمولية ستالين وماو تسي تونغ وبين الشمولية اليمينية التي مثلها نظام الرايخ الرابع الذي أسسه هتلر، وتجراً على الدفاع عن الرأسمالية الغربية من خلال مديحه وجبات مطعم ماكدونالدز، وفي الوقت نفسه صاغ مقولات تترسخ بسرعة في ذهن كل شخص يمينا التفكير، ومنها على سبيل المثال ما قاله عن المفكرين الغربيين الذين يختلقون الأعداء للشيوعية أو يتعاطفون معها: «صحيح أن هؤلاء، سواء أكانوا شيوعيين أم متعاطفين مع الشيوعية، لا نجد آثارا للدماء على أيديهم، لكن أقلامهم تقطر منها»؛ ويقول عن الطوباوية: «الطوباوية ليس فيها أدنى التزام بتقديم نتائج، فوظيفتها الجوهرية تتمثل بالسماح للمؤمنين بها أن يدينوا الموجود بذريعة اللاموجود». أما عن أطروحة (الإنسان الجديد) السوفييتية فيقول: «إن إلغاء الفرد مساو لإلغاء الإنسان».

لا يحتاج القارئ الأمريكي إلى إثبات الكثير من طروحات ريفيل في الدفاع عن التقاليد الليبرالية الغربية أو التشكيك بالحتمية الماركسية. وذلك لأن هذا القارئ يكون في العادة من المرتابين بالشيوعية ويرفض الوقوع في حبالها التوجيهية. أما في فرنسا فتعتبر أفكاره محرصة وخارجة عن السياق العام. وبالأخص بين المفكرين، وأصبح اسم ريفيل

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

في البرامج الحوارية التلفزيونية والنقاشات الأدبية مقرونا هناك بتعليقاته المخالفة الكثيرة. فعلى سبيل المثال. عندما دافع ريفيل في أحد البرامج الحوارية عن ستيفان كورتوا (Stéphane Courtois) مؤلف (الكتاب الأسود للشيوعية). وهو عمل توثيقي رصين يؤرخ للجرائم الشيوعية التي تسببت أنظمتها حول العالم بمقتل 94 مليون شخص. عمد المشاركون في البرنامج إلى اتهامه ومؤلف الكتاب بالإفراط في الليبرالية. بل إنهم اتهموهما بالفاشية والرجعية.

وكثيرا ما تجرأ ريفيل على التلفظ بأفكار يصعب حتى على المحافظين المتشددین أن يتفوهوا بها خوفا من ردادات الفعل؛ فعلى سبيل المثال. يتمثل أحد الانتقادات الكثيرة التي توجه إلى السياسة الخارجية الأمريكية في دعمها لمقاومة (المجاهدين الأفغان) خلال الغزو السوفيتي لأفغانستان إبان الحرب الباردة، وهو ما أدى، بحسب المنتقدين، إلى آثار عكسية تبتد في هجمات 11 سبتمبر؛ فبينما يلتزم الكثير من اليمينيين الصمت إزاء هذه النقطة، وجه ريفيل السؤال البسيط التالي بعد عام على الحادثة: «ولكن ما الذي كان يعد استثنائيا أو يستحق الملامة في قبول رونالد ريغان خدمات كل هؤلاء الراغبين بمعارضة الاتحاد السوفيتي؟ تخيل معي للحظة ماذا كان ليعنيه تمكن السوفيت من إنجاز الاستيلاء الدائم على أفغانستان؛ عندها ما كنا لنشهد غورباتشيف، ولا غلاسنوست، ولا بيريسسترويكا». وهكذا تميزت معظم أعمال ريفيل بالبعد عن الهذر والمنهج الاعتذاري.

خلال مسيرته المهنية أحس ريفيل بقدرة مماثلة على تناول القضايا الميتافيزيقية والمسائل العقائدية حول الإله والإنسان في خضم مجادلاته الساخنة مع خصومه من المفكرين في البرامج الحوارية؛ وألف كتاب (الراهب والفيلسوف) بالاشتراك مع ابنه ماثيو ريكارد (وهو راهب بوذي يطلق عليه علماء الأعصاب في أمريكا لقب «أسعد رجل في العالم»). وحوى هذا الكتاب حوارا مطولا حول معنى الحياة وطبيعة الوعي البشري. ونقض فيه ريفيل الفلسفة البوذية التي يعتنقها ابنه نقطة نقطة. ليعكس جوا من التباين، لا

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

بين ريفيل الشكاك وريكارد المخلص لدينه فحسب. وإنما بين التقاليد الفلسفية غربا وشرقا.

في الحقيقة. بدا ريفيل في أفضل حالاته وهو يعمل على مثل تلك المستويات الفكرية المختلفة في آن واحد. متجاوزا موضوع النقاش لي طرح أسئلة حول الجدل السياسي الدائر ويوضح الأفكار المتعلقة بالتحديات الراهنة. ومن الصعب تصور ما كان ريفيل ليقوله حقا. وهو المخالف دائما. عما نشهده اليوم من أزمة اقتصادية. وفضاعة فروض الرهون الإسكانية. وما تلا ذلك من جدل حول دور الحكومة في حل الأزمة؛ ولكنه في كتابه (المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا) يقدم طرحا بمثابة دليل يقود إلى فهم أفضل وتشخيص أدق لما يحدث في هذه الأوقات المتقلبة: فيفند الادعاء بأن ليبرالية السوق الحرة ما هي إلا ايدولوجية ملتزمة كما الاشتراكية والشيوعية بإنشاء المجتمع الكامل. ويرد عليه بأن النظرية الماركسية تقدم رؤية عامة حتمية للحراك الاجتماعي بينما تتكون الليبرالية من «مجموعة من الملاحظات عن حقائق. ولا تشكل عقيدة عالمية تطمح إلى استيعاب الجميع. بل إنها سلاسل من الفرضيات التفسيرية تتعلق بأحداث العالم الحقيقي». وهذا الدرس لا يفيد منه اليسار فحسب. وإنما ينبغي على اليمين تعلمه لأنه وقع كثيرا في هذا الفخ الايدولوجي من خلال الاعتقاد بأن التبادل الطبيعي الذي تشهده السوق الحرة إنما هو طريق راسخ محتوم يسلكه الاقتصاد العالمي في تعارض مباشر ومساو مع الطريق الشيوعي.

لنأخذ مثلا الحوار التالي الذي دار بين النائب الديمقراطي الأمريكي هنري واكسمان رئيس لجنة الإشراف والإصلاح الحكومي وبين آلان غرينسبان الرئيس السابق للاحتياطي الفيدرالي. وذلك خلال جلسة استماع نيابية في أكتوبر 2008. بعد أسابيع فقط من انهيار العملاق المالي (مصرف ليمان برودرز) وبداية الأزمة المالية الراهنة:

واكسمان: هل تشعر بأن ايدولوجيتك دفعتك إلى اتخاذ قرارات تتمنى الآن لو أنك ما اتخذتها؟

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

غرينسبان: حسنا. سأذكرك على الرغم من ذلك بأن الايديولوجيا هي بنية مفهومية يستخدمها الناس للتعامل مع الواقع. فكل شخص له ايديولوجيا. والمرء مجبر على ذلك. فلكي تعيش تحتاج إلى ايديولوجيا. والسؤال هنا: هل هذه الايديولوجيا مصيبة أم لا. وما أقوله لك الآن هو: نعم. لقد وجدت خلا. ولا أدري مدى أهمية هذا الخلل أو استمراريته. ولكنني لم أزل شديد الألم مذ عرفت بذلك.

واكسمان: وجدت خلا؟

غرينسبان: وجدت خلا في النموذج الذي رأيت فيه البنية الوظيفية الحرجة التي تصف كيفية عمل العالم. على سبيل التشبيه.

واكسمان: بعبارة أخرى. وجدت أن رؤيتك للعالم. ايديولوجيتك. لم تكن صائبة. ولم تكن تعمل.

غرينسبان: بالضبط.

لقد اعتقد غرينسبان بأن «البنية الوظيفية» للاقتصاد العالمي كانت بنية ثابتة وايديولوجية وشاملة. وأن الكل عاشوا وفق مثل هذه المعتقدات الراسخة. أما ريفيل فقد حاجج بأن العكس تماما هو الصحيح: فالرأسمالية الغربية عملية تخمين وتحقق وتعلم. وفيها يزدهر «التدمير الخلاق» للمستثمر الرائد. وتلعب الدولة دور الوسيط لا المدير. إنها نظام لا يقوم على الايديولوجيا. وإنما على الخبرة.

خذ على سبيل المثال مصطلح التجارة الحرة (laissez-faire): إذ يذكر ريفيل القارئ بأنه على الرغم من أن مصطلحي (laissez-faire) و (laissez passer) هما اسمان يعينان التجارة الحرة والاستثمار الحر. فإنهما يستعملان في اللغة الفرنسية بمثابة فعلي أمر لهما فاعل ظاهر. وذلك على العكس تماما من الطبيعة الجامدة للمصدر المستعمل في اللغة الانكليزية. وسرعان ما يهبط مصطلح (laissez-faire) إلى (laisser aller) الذي يعني (الاستهتار. الطيش. التهتك). وفي الواقع يشير ريفيل إلى أن (laissez-faire) قد تكون مشتقة في الأصل من (laissez nous faire) وتعني (فلن فعل ذلك).

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

ربما يكون من الملائم هنا أن نستفيد من إيرفنج كريستول الذي وصف توجه المحافظين الجدد بأنه ليس «حركة» وإنما «اقتناع»؛ فعلى نحو مشابه، لا يمكن التفكير بليبرالية السوق الحرة على أساس أنها أيديولوجيا، وإنما اقتناع يرتكز على الشك في قدرة الدولة على التحكم بالاقتصاد من القمة إلى القاعدة، ويرتكز أيضا على الاعتقاد بأن السياسة الأمثل تستلم معلوماتها من المراقبة، وليس من العقيدة الراسخة.

كثيرا ما يعرض ريفيل في هذا الكتاب الإحساس بالشك في التصرفات المبنية على أساس عقائدي حاسم، سواء أكان ذلك في المجال الاقتصادي أم في المجال الروحي الفردي؛ وهذا ما يربط إحساسه بالتوجس من عقيدتي التناسخ والتنوير لدى البوذيين وبين حذره من «الخطط» المثالية للإصلاح الاجتماعي التي لم يشارك الشيوعيون في تطويرها فحسب، وإنما ينضم إليهم في ذلك مدعو «فعل الخير» الآخرين كأمنصار البيئة والناشطين الاجتماعيين.

إن ريفيل يعتقد بأن هذا النوع من الطوباوية، والذي يستمد مبرراته من نواياه الخيرية الهادفة إلى عالم أفضل في المستقبل، يمنح ناشطيه القدرة على تفادي تلقي النقد في ما يخص تاريخهم الحقيقي؛ فيشير في الكتاب إلى أن الاستعانة بالأفكار الطوباوية يمكن الأيديولوجيا (والنظام السلطوي الذي تعتمز تزويده بالشرعية) من إعلان تحقيق النجاحات واحدا تلو الآخر دون انقطاع، بينما تكون النتائج الحقيقية على العكس تماما من الأجندة التي يبالغ في مدحها. وهنا يشير ريفيل إلى الشيوعيين ومن لف لفهم ممن انسحبوا إلى مسافة أبعد في اليوتوبيا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. ولكن منهجه الاستدلالي في مناقشته لهذا الموضوع لا يختلف عن منهجه في تقييم المنظومات العقائدية الأخرى؛ ففي كتابه (معادة أمريكا)، مثلا، يشير ريفيل إلى أن مناصرة البيئة «تم اختطافها منذ وقت طويل على أيدي مدعين مزيفين، فأصبحت قناعا أخضر للغط الماركسي القديم نفسه. لاحظ أن أيديولوجيا مناصرة البيئة لا ترى البيئة تتعرض للتهديد إلا في البلاد التي تسودها الحرية الاقتصادية بدرجة ما». لقد اعتقد ريفيل بأن هؤلاء المحاربين الخضراء لم

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

يكونوا يقاتلون في سبيل كوكب أنظف وإنما في سبيل كوكب تحصل فيه ايدولوجيتهم على نفوذ أكبر. إن الطوباوية بنظر ريفيل تمثل خدعة ذكية لتجميع النفوذ تحت يافطة أهداف نبيلة كالبيئة، أو الفقراء، أو المسحوقين.

في حقيقة الأمر، ليس هذا النوع من الطوباوية إلا نسخة قبيحة من الطوباوية التي وصفها المفكر والسياسي البريطاني ادوارد كار (Edward H. Carr) قبل أكثر من 70 عاما في كتابه المرجعي حول العلاقات الدولية (أزمة العشرين عاما)، حيث يحلل كار في كتابه العقلية الطوباوية ويقول بأن عدم اعتبارها القوة عاملا مؤثرا في السياسة الدولية هو الذي أدى إلى نزع جدوى الطوباوية وإظهارها كمنهج ساذج. لكن الوضع مختلف في يومنا هذا، فالطوباوية الراهنة، وفقا لآراء ريفيل، أصبحت في كثير من الأحوال أداة مدمرة تستخف بدوافع الآخرين، ويا للمفارقة، وذلك في سبيل تدعيم قوة المنادين بها في الوقت نفسه الذي تغفر فيه لهم استعمالاتها على نحو مسؤول وتحافظ على صورتهم الملائكية.

لقد عانى جان فرانسوا ريفيل في عمله مع الفلسفة الحديثة، وكثيرا ما وقع فريسة لأوهامها، وذلك لأن الفلسفة الغربية الحديثة، وبخلاف الفلسفة الغربية الكلاسيكية والفلسفة الشرقية الكلاسيكية التي يعتنقها ابنه، لا يقدم دارسوها على العمل بها، بل إنهم يعملون كأكاديميين منعزلين لا تلتقي أبحاثهم مع تجارب الحياة اليومية، وهذا ما أزعج ريفيل الذي كان معجبا بأن ابنه اقتضى أثر فلاسفة اليونان المرموقين فحاول أن ينطبع نمط معيشتهم بطابع الأفكار البوذية التي حاربها فكريا، وذلك على الرغم من أن ريفيل قد لا يتفق مع الغايات ولا الوسائل في هذا النمط المعيشي.

إذا ما نظرنا إلى مسيرة ريفيل فلا يمكن أن لا نلاحظ توجه أفكاره ونقاشاته باتجاه الرغبة في تحقيق الانسجام والتلاحم؛ فبينما كان يتبوأ موضعا مرموقا في النخبة الفكرية الفرنسية، كان في الوقت نفسه الصوت الجريء الذي تحدى الأفكار الجاهزة حول الاقتصاد والسياسة والطبيعة البشرية في فرنسا وعبر الغرب بأكمله. لقد رفض ازدواجية

المنفذ الأخير إلى اليوتوبيا

المعايير التي صنعها الكثير من اليساريين عبر الترويج لحلول مقتبسة من العالم الثالث بينما كانوا يحتمون في ظل ديمقراطية الغرب ورأسماليته. ونبه إلى أن هؤلاء المفكرين «الخيرين». والذين تفادوا تحمل المسؤولية بالعمل تحت يافطة النوايا الحسنة. ينبغي أن تتم مساءلتهم عن تاريخهم السيئ.

ومع ذلك، أقدم ريفيل بالسرعة نفسها على تنبيه المخلصين لمبادئ السوق الحرة إلى عدم الوقوع في الفخ الايديولوجي نفسه بأن يعتبروا الرأسمالية ردة فعل على الشيوعية تساويها في الشدة وتعاكسها في الاتجاه. لقد كان الوقوع في هذا الفخ كثير الحدوث قبل (الكساد الكبير). وشوش الأفكار التي طرحت لشفاء الاقتصاد بعد ذلك. وفي الواقع، يمكننا أن نجد مثيلا لأفكار ريفيل لدى المؤرخ البريطاني بول جونسون (Paul Johnson) الذي أشار إلى أن (الرأسمالية) في حقيقتها لا تمتلك مقطع (بة) الذي ينهيها. إذ ليست ايديولوجيا منافسة لغيرها. بل هي «عملية تقوم بها الطبيعة وتحدث على نحو تلقائي في مرحلة معينة من مراحل التطور البشري حينما تتوفر عدة مكونات من أهمها حكم القانون ومستوى من الحرية الفردية. وذلك عندما يبدأ الناس العاديون بممارسة أعمالهم بأفضل طريقة يعرفونها». وفق هذا المنظور يبدو الاقتصاد السياسي أكثر تعقيدا وأقل سهولة من أن يتم التحكم به. ولكن هذه فكرة ريفيل بالضبط. حيث رأى أن محاولة توجيه هذا الاقتصاد من القمة لم تتمخض إلا عن المزيد من الفشل في القاعدة.

في عام 1997 انتخب جان فرانسوا ريفيل لشغل المقعد الرابع والعشرين في الأكاديمية الفرنسية. وهي مجمع علمي يتكون من 40 مفكرا يشكلون المرجعية الأعلى في اللغة الفرنسية ويطلق عليهم لقب «الخالدين» فور انتخابهم. وهذا الخلود ينطبق على مسيرة ريفيل وكتابات: فروح الفكاهة اللاذعة، والنقد الحاد، والدفاع الجريء عن التقاليد الليبرالية الغربية. جعلته ينفرد عن بقية المفكرين الفرنسيين. ليضيء دربا فريدا يرشد أجيالا كثيرة قادمة من الطلبة والمشككين والمدافعين عن الحرية.